

جديد أحمد الطيبي إطالة الفلسطينيين الاسرائيليين على الدولة الواحدة بقلم شبلي مَلاط

يطل علينا الدكتور أحمد الطيبي بنقاش جديد ليس في ما يحتويه من جدلٍ بات أساساً في البحث عن الحل في قضية فلسطين، وهو الجدل الدائر حول الدولة الواحدة أو الدولتين، بل الجديد الأوفى في المكانة الخاصة لصاحبه عند مفترق الهويات: فهو فلسطيني من أهل الصمود الطويل في بيئة تعتبره عدواً، دخلياً، أو في أحسن الأحوال مشتبهاً به في دولة تجاهر بأنّها يهودية، وهو في الوقت نفسه مسؤول سياسي بمنصب مرموق أقله رسمياً، لأن سلطته الحقيقية طبعاً محدودة بالتهميش السياسي العنصري لغير اليهود من مواطني اسرائيل على مدى العقود الستة التي تفصلنا عن نشأة دولة تدعي الديموقراطية.

الجدل حول حلّ الدولة أو الدولتين سوابقه كثيرة في الأوساط الصهيونية كما في الفكر الفلسطيني. لقد أشرتُ غير مرّة الى نص لمؤسس اسرائيل ديفيد بن غوريون في الثلاثينات، يدعو فيه الى دولة فيديرالية يتساوى فيها اليهود والعرب جماعةً وفرداً، كما أن البنود الأكثر معنىً في ميثاق منظمة التحرير لسنتي 1964 و 1968 تتناول مستقبل اليهود في الدولة الفلسطينية المرجوة، وهي كانت دائماً دولة تمتد من البحر الى النهر.

إذاً لا جديد في النقاش نفسه، التآرجح دائماً بين التقسيم الى دولتين والدولة الواحدة المبنية على عيشٍ مشترك تحكمه المساواة. إنما الجديد في طرح الدكتور الطيبي هو مكانة صاحب الطرح في هويته المزدوجة، على خلفية الايقاع الدولي المستمر الساعي بلا هوادة في النصوص كما في الاعلانات، الى انشاء دولة قومية فلسطينية في الضفة وغزة مقابل دولة اسرائيل.

جديد الطرح إذاً برونه المزدوج من الملاء غير اليهودي من مواطني اسرائيل، عرب اسرائيل، أو ما يجب التعبير عنه بشكل أكثر دقة بالفلسطينيين الاسرائيليين، وهو مزدوج لأنه تعبير مواطن يرفض الطرح العنصري المستمر شرطاً للمواطنة من قبل رئيس وزرائها، ولأنه في الوقت نفسه يجعل فلسطيني اسرائيل - وليس فلسطيني الضفة وغزة، ولا فلسطيني الشتات - في مقدمة المطالبين بالحل، ويجعلهم أصحاب القضية مثلهم مثل اخوانهم على الشق الآخر، مطالبين رغم الالتباس القائم على طغيان التقسيم، بدولة المساواة الواحدة.

الجديد المهم في موقف الدكتور الطيبي دخول فلسطيني اسرائيل على الساحة، ودخولهم هذا مهم بسبب مكانتهم المميزة من قلب النظام الاسرائيلي، خلافاً لأهلهم في الضفة وغزة وفي الشتات.

قد يكون حلّ الدولتين لا يزال الأوفى، ونرى الشك قائماً في هذا المقال المعد أساساً الى الجمهور الأميركي من طريق احدي الصحف الأكثر محافظة وحماسة لاسرائيل في الولايات المتحدة. فطرح أحمد الطيبي بعضه ملتبس، وهو الذي يكرر حديث وزيرة الخارجية الأميركية، فكأنه يدعو الى الإسراع باعتناق حلّ الدولتين لئلا تحلّ محلّه دولة المساواة. هكذا طرح غريب لضحية الاضطهاد العنصري في اسرائيل، لأنه يستمر ضحية اذا تمّ التقسيم، كما هو غريب في طرح وزيرة الخارجية الأميركية، وهي كما رئيس جمهوريتها بنت معركة الحقوق المدنية التي ترتبط

جهاراً في فلسفتها بنضال مارتن لوثر كينغ من أجل المساواة في الولايات المتحدة. الالتباس إذاً قائم ولكن الطرح جديد بمكانة نائب رئيس البرلمان الاسرائيلي. المطلوب هو فتح النقاش على مصراعيه لحلّ الالتباس، في الولايات المتحدة كما في اسرائيل، وفي الأوساط الفلسطينية والعربية بوتيرة موازية، لرسم المستقبل ما بين دولتين والدولة الواحدة. هذا نقاشٌ أساس لنا جميعاً، نشكر الدكتور أحمد الطيبي لفتحته من المنبر الخاص الذي يتحدث الى العالم من خلاله، وعلينا أن نجعل العالم يصغي اليه بدقة، لما يجيء به من جديد في المعضلة المزمّنة منذ أكثر من قرن على أرض فلسطين. والدولة الواحدة بحاجة الى تصوّر وعملٍ يمتدّ جيلاً كاملاً على الأقل، أشار فيه الدكتور الطيبي الى أهمية اللاعنف وسيلة له. أما التصور السياسي والدستوري فهو ما نرجو أن يكون هذا المقال فاتحةً له على العالم العربي في صفحة القضايا، وللحديث تفاصيل أهميتها بأهمية السلام في المنطقة، وفي العالم.

(محام وأستاذ في القانون)